مصطلحُ التّشبيه التّمثيليّ/ دراسةٌ تأصيليّةٌ

د. زكريّا قصّاب*

الملخّص

يحاولُ هذا البحث تحديدَ مصطلح (التّشبيه التّمثيليّ) عند القدماء والمحدثين؛ وذلك بسبب ما أصابه من اضطرابٍ على مرّ العصور، أدّى إلى خلطهِ بغيره منَ المصطلحاتِ, وإلى سوء فهمٍ في ضبط محدّداته على نحوٍ جامعٍ مانعٍ. ولمّا كان الحال كذلك، لم يكنْ منَ المستغرب أن يجدَ الدّارس رأياً مختلفاً لدى البلاغيّين الّذينَ تفاوتت جهودهم؛ بحسب ثقافتهم، وتحصيلهم العلميّ، وتوجّههم الدينيّ. وكان لزامًا على الدّارس استقراء المصطلح في أمّات الكتب الّتي اهتمّت بالدّرس البلاغيّ، ووصولًا إلى مرحلة النّضج والاكتمال عند الجرجانيّ، ثمّ مرحلة الشروح لدى المتأخّرين. ولمّا تفاوتت سبل البلاغيّين المحدثين في النّقل عن القدماء، رأيت ألّا أذكر إلّا مَن كان لديه رأيٌ متميّزٌ، أو مَنْ نقل بعض الآراء من دون تحقيقٍ. ولعلّ الغرض النهائيّ لهذا البحث هو الوصول إلى تعريفٍ جامعٍ مانعٍ لهذا المصطلح، وتبيان طرق البلاغيّين في تطبيقه.

---

* جامعة أفيون– كلية العلوم الإسلامية.

term of pictorial simile (original study)

Abstract

This article attempts to determin a term of pictorial simile(original study),because it has been surrounded with confusion all along, something which has made it over lap with other term with it s own determinats.In view of this, it is not strnage for researchers to come upon a variety of views about this term,These views are offered by rhetoricians who differ in terms of their efforts,cultural background academic qualifications and religious orientations.These views lead to a stage of maturity and culmination as in AL jurjani,a stage of explication as in recent rhetoricians. since most modern rhetoricians just developed what was propounded by their predecessors,I have decided to mention only those who have outstading views or those who went astray and rebroduced views without checking.It is hoped that the ultimate aim of this article is to reach a definitive understanding for this term,and to now how stylist of rhetoricians to do it.

تمهيد

أولًا- تداخلُ مُصْطَلَحِ (تمثيلٍ) مَعَ غيرِه مِنَ المصطلحاتِ في اللّغة:

إنّ تحديدَ المصطلحِ المُتَدَاخِلِ معَ غيرِهِ وسيلةٌ من وسائلِ ضبطهِ، واللّغةُ هي المُنطلقُ في هذا الباب؛ إذ جاء في تهذيب اللّغة: (ويكون تمثيلُ الشَّيءِ بالشَّيءِ تشبيهًا بِهِ)[١]. وفي المقاييس: (الميم والثّاء واللّام أصلٌ صحيحٌ يدلّ على مناظرة الشّيء للشّيء. وهذا مِثلُ هذا، أيْ: نظيره)[٢]. وذكرَ أنّ: (الشّين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابه الشَّيءِ وتشاكُلِهِ لونًا ووصفًا)[٣]. وفي اللّسان: (التّشبيه: التّمثيل)[٤]. فنجد في هذه النّصوص تداخلًا في مصطلحي (تمثيلٍ) و(تشبيهٍ)، ويعود ذلك إلى اشتراكهما في الدّلالة الأصليّة، وهي وضع شيءٍ بإزاء شيءٍ آخر، أو قياس أمرٍ بأمرٍ آخر، على سبيل تحديد ما هو مشتركٌ بين الطّرفين. ويتأكّد هذا التداخل في المصطلحينِ عند اللّغويّينَ الّذين عُنُوا بتحديد الدّلالة الاصطلاحية للمصطلحين تحديدًا جعلوا فيه دلالة (المشابهة)، لكونها مشتركةً في المصطلحين، سببًا لاستخدام أحدهما في موضع الآخر، فيقول الخوارزميّ (٣٨٧هـ): (التّشبيه: تمثيل الشّيء بالشّيء)[٥]. وإلى ذلك ذهب الكفويّ (١٠٩٤هـ)، فجعل دلالة التّمثيل أعمّ من دلالة التّشبيه، فقال: (التّشبيه في اللّغة: التّمثيل مطلقًا)[٦]. وكان الرّاغب (٥٠٢هـ) جعل (المِثلَ) بمعنى المشابهة لغيره في

---

(١) **تهذيب اللّغة:** محمّد بن أحمد الأزهريّ (٣٧٠هـ), مادة (مثل).

(٢) **مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، مادة (مثل).

(٣) **السّابق:** مادّة (شبه).

(٤) **لسان العرب:** محمّد بن مكرم (٧١١هـ)، مادّة (مثل).

(٥) **مفاتيح العلوم:** محمّد بن أحمد الخوارزمي، ٩٤.

(٦) **الكلّيّات:** أيّوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ، مادّة (شبه) .

معنىً من المعاني (أعمَّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة)(٧). ويتداخل (المَثَل) أيضًا مع مصطلح (تمثيلٍ) في دلالة المشابهة السّابقة، وبعضهم يخلط في الدّلالة الاصطلاحيّة لهما، فالرّاغب الأصفهاني يعرّف المَثَلَ بأنّه: (عبارةٌ عن قولٍ في شيءٍ، يشبهُ قولًا في شيءٍ آخرَ بينهما مشابهةٌ، ليبيّنَ أحدُهما الآخر ويصوّره, نحو قولهم: (الصَّيفَ ضَيَّعتِ اللبنَ)، وقوله: (مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التَّوراةَ) الآية، أي هم في جهلهم بمضمون حقائق التّوراة كالحمار في جهله بما على ظهره من الأسفار)(٨). فالشّاهد الأوّل (مَثَلٌ) والشّاهد الثّاني (تشبيهٌ تمثيليٌّ)، والمَثلُ هو ضربٌ من الاِستعارة التّمثيليّة، وما ذكره من حدٍّ للمثل يدخل فيه التّشبيه عمومًا. ويُستفاد ممّا سبق أنّ **دلالة المشابهة** هي الدّلالة الرّئيسيّة الّتي تجيز استعمالَ أحدِ هذه المصطلحات في موضع الآخر. والسؤال هنا: ألَا يوجد في متن اللّغة دلالاتٌ أخرى يمكننا تحييده وتمييزه؟ لا يعدمُ الباحث دلالاتٍ جديدةً تميّز مصطلح التّشبيه التّمثيليّ من غيره من المصطلحات، ولعلّ أهمّها دلالة (التّصوير)، فقد جاء في المفردات: (أَصْلُ المُثُولِ الاِنتصابُ، والمُمَثِّلُ المُصَوِّر على مثالِ غيرِهِ، والتّمثالُ الشَّيءُ المُصَوَّرُ)(٩)، وفي اللّسان: (التّمثالُ: الصُّورةُ، ومثّلَ لهُ الشَّيءَ: صوّرهُ حتّى كأنّه ينظرُ إليه)(١٠). و(التّصوير) هنا مصطلحٌ فنّيٌّ استعمله اللّغويّونَ بمعناه النّقديّ المعاصر، وهذا تدلّ عليه الأداة (كأنّ) الّتي تفيد ضرباً من الشّكّ يجعل الصّورة الممثَّلة ليست صورةً طبقَ الأصلِ، لكنّها صورةٌ معدّلةٌ، يُعَادُ فيها إنتاج

---

(٧) **المفردات في غريب القرآن:** الحسين بن محمّد الراغب الأصفهاني، مادّة (مثل).

(٨) **المفردات:** مادة (مَثَلَ). وانظر لدى البلاغيين المعاصرين **(فنّ التّشبيه)** لعلي الجندي، إذ إنّه خلط بين مصطلحي مثلٍ وتمثيلٍ, ج٢,٢٠.

(٩) مادّة (مَثَلَ).

(١٠) **اللّسان:** مادّة (مَثَلَ).

الأصلِ على نحوٍ تحسبه كأنّهُ هُوَ. وهو مَلْمَحٌ فنّيٌّ مهمٌّ التقطهُ اللّغويّونَ، ووظّفه بعض البلاغيّينَ في تحديدهم للمصطلح. وإذا ما علمنا أنّ مصطلحي (تصويرٍ) و(تخييلٍ) يتعاورانِ الدّلالةَ ذاتَها، فيقال: (تخيّلتهُ فتخيّلَ لِي، كَمَا تقولُ: تصوّرتُهُ فَتَصَوَّرَ) (١١)، فإنّنا نكونُ قد أدركنا بُعْدَهُ الفنّيّ إدراكًا أكيدًا، وتميّزه من غيره من المصطلحات, لذا برز (التّمثيل) على أنّه يحتوي فضلًا عن دلالته الأساسيّة (المشابهة)، دلالةً أخرى هي (التّصوير) أو(التّخييل)، وهو ما يفتقده (التّشبيه)، أو ما لا يكونُ فيه على حدّ ما يكون في (التّمثيل) على نحوِ ما سنرى.

---

(١١) **اللّسان**: مادّة (خَيَلَ).

العرض

ثانيًا- التّداخلُ في مصطلح (تمثيلٍ) وغيرهِ مِنَ المصطلحات عند البلاغيّينَ:

من النّادر أنْ نجد حضورًا لهذا المصطلح فيما كتبه البلاغيّونَ الأوائل, إذ نرى الفرّاء (٢٠٧هـ) يستعمل مصطلح (مَثَلٍ) بمعنى (التّمثيل) أو (الِاستعارة التّمثيليّة)، فيقول عن قوله تعالى: ((ذلكَ مَثَلُهُم في التَّوراةِ)) -الحجرات- ٢٩: (...وهو مَثَلٌ ضربه الله عزّ وجلّ للنبيّ صلّى الله عليه، إذ خرج وحده، ثمّ قوّاه بأصحابه، كما قوّى الحبّة بما نبت منها)[١٢]. كذلك فعل أبو عبيدة (٢١٠هـ)، فهو يقول عن قوله تعالى: ((فَأَتَى بنيانَهُم من القواعد)) -النحل ٢٦-: (مجازُه مَجازُ المَثَلِ والتّشبيهِ، والقواعدُ: الأساسُ. إذا اِسْتأصلوا شيئًا قالوا هذا الكلام، وهو مَثَلٌ)[١٣]. وهو يقصد من قوله: (مجازُ المَثَلِ والتّشبيه) دلالةَ المشابهةِ، وَمِنْ قولهِ: (هو مَثَلٌ) التّمثيل أو مجازَ التّمثيلِ[١٤]، على ما نصّ عليه في موضعٍ آخرَ, فيقولُ عن قوله تعالى: ((على شَفَا جُرُفٍ هارٍ)) -التوبة ١٠٩- (ومجازُ الآيةِ مجاز التّمثيل, لأنّ ما بنوه على التّقوى أثبت أساسًا مِنَ البناء الّذي بنوه على الكفر والنّفاق فهو على شفا جُرُفٍ، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يَثْبُتُ البناءُ عليه)[١٥]. ويستفاد من قوله: (مجاز التّمثيل) ما يعرف بالاستعارة التّمثيليّة عند المتأخّرينَ مِنَ البلاغيّينَ. ونجدُ مثلَ ذلك لدى الجاحظ (٢٥٥هـ) الّذي يستخدم مصطلح (مَثَلٍ) بمعنى (الاستعارة التَّمثيليّة)، فيذهب إلى أنّ قول الشاعر: (هُمُ

---

(١٢) **معاني القرآن:** يحيى بن زياد الفرّاء، ج٣، ٦٩.

(١٣) **مجاز القرآن:** معمر بن المثنّى، ج١، ٣٥٩.

(١٤) فمجاز المثل، والمثل، ومجاز التمثيل، يعني: الاستعارة التّمثيليّة عنده.

(١٥) **مجاز القرآن:** ج١، ٢٦٩.

ساعدُ الدّهرِ الّذي يتّقى بهِ)[١٦] (إنّما هو مَثَلٌ، وهذا الّذي يسمّيهِ الرّواة البديع)[١٧]. وقد يكون التّطور اللّافت في هذا السّياق حدث على يد قدامة (٣٣٧هـ)، الّذي استعمل مصطلحَ تمثيلٍ وعرّفه، فقال: (أنْ يريد الشّاعر إشارةً إلى معنىً، فيضع كلامًا يدلّ على معنىً آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئانِ عمّا أراد أن يشير إليه)[١٨]. وهذا الكلام يصلُح أن يكونَ تعريفًا للمثل وللاستعارة وللكناية، فهي جميعها يوضع فيها كلامٌ ليدلّ على معنىً آخر، ويكون بين المعنيين أو الكلاميين علاقةٌ يُتوصّل بها إلى مراد المتكلم. وبعبارةٍ موجزةٍ يمكن القول: إنّ مراد قدامة (المعنى) و(معنى المعنى)، وهذا يقع تحته أنواعٌ بلاغيّةٌ متعدّدةٌ. فلا يمكن الوثوق بما جاء به قدامة هنا، ولا بما جاء به العسكري (٣٨٣هـ) أو (٣٩٥هـ) الّذي نقل كلام قدامة وشواهده، لكنّه استبدل بمصطلح (تمثيلٍ) مصطلحَ (مماثلةٍ)[١٩]. كذلك ابن رشيقٍ (٤٥٦هـ) في حدّه للتّمثيل دَرَكٌ، فجعله من ضروب الإستعارة أوّلاً، فأخرجه من حيّز التّشبيه، وعرّفه قريبًا من تعريف قدامة، فقال: (أنْ تمثّل شيئًا بشيءٍ فيه إشارةٌ منه)[٢٠]، فأدخل فيه الإستعارة التّمثيليّة والمثل والكناية، وتأكّد ذلك بالأمثلة الّتي أتى بها [٢١]. والتّحوّل الحقيقيّ في فهم المصطلح وتحديده لم ينجز إلّا على يد عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ)، إذ ما فتئ ينبّه على أنّ محاسنَ الكلام تكون بحسب ما فيه من (تشبيهٍ) و(تمثيلٍ) و(استعارةٍ)، لكونها أقطابًا تدور عليها

---

(١٦) البيت للأشهبِ بن رُمَيلَة وقبله:

وَإنّ الأُلَى حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُم هُمُ القومُ كلُّ القومِ يَا أمَّ خَالدِ
هُمُ ساعدُ الدَّهرِ الَّذي يتّقى به وَمَا خَيرُ كَفٍّ لا تنوءُ بِسَاعِدِ

(١٧) **البيان والتّبيين:** عمرو بن بحر الجّاحظ، ج٤، ٥٥.

(١٨) **نقد الشّعر:** قدامة بن جعفر، ١٥٨.

(١٩) **كتاب الصّناعتين، الكتابة والشعر:** الحسن بن عبد الله العسكريّ، ٣٥٣.

(٢٠) **العمدة في صناعة الشّعر ونقده:** الحسن بن رشيقٍ القيروانيّ، ج١، ٤٥٠.

(٢١) انظر السّابق، ج١، ٤٥٠ فما بعد .

المعاني في متصرّفاتها[٢٢]. وهذا يجعل لكلٍ دلالته الخاصة، فإذا كان صحيحًا أنّها تلتقي في الجملة، فإنّها تتباين لدى التّفصيل[٢٣]. وقد سبق أن ذكرتُ أنّ الّلغويّينَ توصّلوا إلى أنّ (المشابهة) الدلالةُ الّتي تجمع التّشبيه والتّمثيل، ولمّا كانت الاستعارة مبنيةً على التّشبيه أيضًا، دخلت في ذلك. أمّا (التّصوير)، لكونه دلالةً تميّز (التّمثيل)، فيراه عبدالقاهر وسيلةً فنيةً تزيد من قيمة المعنى، وترفع من قدره[٢٤] لكنّه –خلافًا للّغويّينَ– يجعل لهذه الدلالة خصوصيّةً في (التّمثيل) بالنسبة إلى غيره من الأنواع التي قد تتداخل معه، فيقول: (وذلك أنّك بالتّمثيل في حكم مَن يرى صورةً واحدةً، إلّا أنّه يراها تارةً في المرآة، وتارةً على ظاهر الأمر، وأمّا في التّشبيه الصّريح، فإنّك ترى صورتين على الحقيقة)[٢٥]. فهو ينطلق من الدّلالة الّلغويّة في فهمه للمصطلح، إلّا أنّه يعمّم دلالة التّصوير فيه –كما عمّم دلالة المشابهة بجعل كلّ تمثيلٍ تشبيهًا، وليس كلّ تشبيهٍ تمثيلًا[٢٦] – لتشمل (التّشبيه) و(التّمثيل) و(الاستعارة)، مع خصوصيّة لها في (التّمثيل) لا تتأتّى في سواه، فأنت ترى فيه صورةً واحدةً، بشكلين مختلفين، فالتّمثيل (لا يُحضركَ أوصافَ الأصل على التّحقيق والتّعيينِ، وإنّما يُخيّل إليك أنّه يُحضرك ذلك)[٢٧]. وكأنّه يريد أن يجعل –خلافًا للّغويّينَ– التّصويرَ على ضربينِ، ضربٍ يكون بلا تخييلٍ، وضربٍ يكون بتخييلٍ، فالأوّل ميدانه (التّشبيه) والثّاني ميدانه (التّمثيل). وقد أحسن ابن معصوم

(٢٢) انظر **أسرار البلاغة:** عبد القاهر الجرجانيّ، ٢٧.

(٢٣) انظر السّابق، ٢٨.

(٢٤) انظر السّابق، ٢٦، ١١٩.

(٢٥) **أسرار البلاغة**، ٢٣٦.

(٢٦) **انظر أسرار البلاغة**، ٩٥.

(٢٧) السّابق، ٢٣٧. وانظر، ١٣١، وجعل دلالة التّصوير تعمّ التّشبيه والتّمثيل. وفي ١١٩، عطف (التّصوير) على (التّمثيل) من باب عطف العام على الخاصّ، فالتّمثيل تصويرٌ خاصٌّ يقوم على التّخييل.

(١١٢٠هـ) حين ربط بين مصطلحي (تمثيلٍ) و(تصويرٍ) ربطًا مباشرًا، ففسّر التّمثيل بالتّصوير في بديعيته: طَرِبْتُ في البعدِ مِنْ تمثيلِ قُرْبِهِمُ/ والمرءُ قَدْ تَزْدَهِيْهِ لذّةُ الحُلُمِ فقال: (والتّمثيل هنا بمعنى: التّصوير، مورّىً به عن اسم النّوع. قال في القاموس: مثّله له تمثيلًا: صوّره حتّى كأنّه ينظر إليه. والمعنى: أنّه طرب من تصوير قرب أحبابه في حال البعد، كأنّه صوّر لنفسه قربهم، فلحقته لذلك خفّةُ سرّته، ثمّ مثّل حاله هذه بحال الإنسان النّائم الّذي تستخفّه لذّة الأحلام فيطرب لها. وأخرج التّمثيل مخرج المثل السّائر)[٢٨]. ولا ريب أنّ دلالة التّخييل حاضرةٌ في هذا التّعريف في قوله: (صوّره كأنّه)، وذلك لأنّ (كأنّ) تفيد الإيهام والتّخييل. واكتمال تصوّر عبد القاهر لهذا المصطلح، يتطلّب محدّداتٍ أخرى لضبطه، بعضها يتّصل بدلالة المشابهة والتّصوير والتّخييل، نحو أنْ تكون الدّلالة النّاتجة تحتاج إلى تأويل، وذلك أنّها لا تكون موجودةً على نحو صريحٍ في الطّرفين، فهي متخيّلةٌ، لأنّها لا مباشرةٌ ولا صريحةٌ، وإذا كانت كذلك فلا بدّ أن تكون عقليّةً، لأنّ الدّلالة الحسيّة صريحةٌ ومباشرةٌ، فلا تأويل فيها ولا تخييل، فنراه يقول: (المشابهات المتأوّلة الّتي ينتزعها العقل من الشّيء للشّيء، لا تكون في حدّ المشابهات الأصليّة الظّاهرة، بل الشّبه العقليّ كأنّ الشّيء به يكون شبيهًا بالمشبّه)[٢٩]. فهو يقصد كأنّه المشبّه، ولكنّه ليس هو على التّحقيق. ومن أجل ذلك حرص عبد القاهر على نعت كلمة التّشبيه بـ(الظّاهر أو الصّريح)[٣٠]، وعلى تأكيد أنّ الدلالة في (التّشبيه) غرضها المبالغة، وإن تفاوتت، وهي في (التّمثيل) تسعى إلى إثارة المخيّلة، وجعل المتلقي طرفًا لا في تلقّي الدّلالة فقط، بل في إعادة إنتاجها أيضًا، وذلك عن طريق

---

(٢٨) **أنوار الرّبيع في أنواع البديع:** السّيد علي صدر الدّين بن معصوم المدنيّ، ج٣، ٢٠١.

(٢٩) **أسرار البلاغة،** ١٠٠.

(٣٠) انظر السّابق، ١٠٨، ٢٢٥، ٢٣٦.

إعادة تمثّل الصورة المتخيّلة، والحالة الشعوريّة المتعلّقة بها[٣١]. وهذا يقتضي التّفاعل بين الصّورتين، لا أن تبقى كلّ صورةٍ مستقلّةً عن الأخرى، فيكون الشّبه في (التّمثيل) –كما يقول– (مأخوذًا من عدّة أمور يجمع بعضها إلى بعضٍ، ثمّ يُستخرج من مجموعها الشّبه، فيكون سبيله سبيلَ الشيئين يُمزج أحدهما بالآخر، حتّى تحدث صورةٌ، غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يُجمع بينهما وتحفظ صورتهما)[٣٢]. ومقصوده هنا في الجملة الأخيرة الشّبه العقليّ المنتزع من شيءٍ واحدٍ، أو التّشبيه عمومًا. والمثال الذي عُني به عبدالقاهر هنا، لتوضيح هذه الفكرة، وتداوله البلاغيّون من بعده، هو قوله تعالى: ((مَثَلُ الّذينَ حُمِّلُوا التّوراةَ ثمّ لمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يحملُ أسفارًا)) –الجمعة ٥– فالشّبه منتزعٌ من حمل الحمار، وأنْ يكون المحمول هو الأسفار، وألّا يكون لهذا الحمل أيّ فائدةٍ، سوى الكَدّ والتّعب، وهذا يتّضح في قوله: (الشّبه منتزع من أحوال الحمار، وهو أنّه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودع ثمر العقول، ثمّ لا يحسّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيءٍ، ولا من الدّلالة عليه بسبيلٍ، فليس له ممّا يحمل حظٌّ سوى أنّه يثْقُل عليه، ويَكُدُّ جنبيهِ، فهو كما ترى مقتضى أمورٍ مجموعةٍ، ونتيجةٌ لأشياءَ أُلّفَتْ وقُرِنِ بعضُها إلى بعضٍ)[٣٣]. فإنتاج الدّلالة في الآية الكريمة استند إلى عدّة أمورٍ؛ منها ما يتعلّق ببناء الجملة وفق ترتيبٍ معيّنٍ يجعل عناصرها متّحدةً على نحوٍ لا ينفك أحدّها منِ الآخر، إذ لو غيّرنا تركيب الجملة، فقلنا مثلا: (هم كالحمار في أنّه يَحمِلُ ويَجهَلُ) لم يكن شيئًا، لأنّ الحمل حينئذٍ لا يكون مقترنًا بالجهل، والصورة

---

(٣١) انظر السّابق، ١٠٢.

(٣٢) السّابق، ١٠١.

(٣٣) **أسرار البلاغة**، ١٠١.

يُنظر إليها من خلال كلّ عنصرٍ على حدةٍ، وليس عَبرَ المجموع، فتنتفي دلالة التّمثيل في الشّاهد. ومنها ما له علاقةٌ بمقصديّة المتكلّم التي تريد توصيل دلالةٍ محدّدةٍ، دون غيرها. فليس المراد في الآية الكريمة أنْ تكون الصّورة على حقيقتها في كلّ طرفٍ، وأنْ يُشبّه اليهود بالحمار في حمله مرّةً، وفي جهله أخرى، بل أن تنتج من الصورتين معًا صورةٌ جديدةٌ هي (الذمّ بالشِّقاء في شيءٍ يتعلّق به غرضٌ جليلٌ وفائدةٌ شريفةٌ، مع حرمان ذلك الغرض، وعدم الوصول إلى تلك الفائدة)[٣٤]. والصّورة الثّانية تخييلٌ للأولى، وليستْ مجرّدَ مبالغةٍ في الوصف[٣٥]. ومنها ما له صلةٌ بالمتلقي, فاللّذة في التّمثيل تكون مضاعفةً بالنّسبة إلى التّشبيه، إذ (تحصل مذاقةٌ لو فرضْتَ حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاجٍ، فرضْتَ ما لا يكون)[٣٦]. ولمّا كان المتلقي هو (المؤوِّل)، وهو الطّرف المشارك في إنتاج الدّلالة، بيّن عبدالقاهر له كيف يمكن أن يخلّ بالمغزى من التّشبيه؟ وذلك إذا لم يراعِ نظام الجمل، والألفاظ في تتباعها، أو لمْ ينظرْ إلى مقصديَّة المبدع[٣٧]، فكونُ النّاتج الدّلاليّ سليمًا لابدّ فيه من مراعاة كلّ ذلك. وانتهى عبدالقاهر إلى تعريفٍ للتّمثيل لا يمكن وصفه بأنَّه جامعٌ مانعٌ، لأنّه لم يكنْ غرضُه إجمالَ ما فصّله، بل التّفريق بين الاستعارة والتّمثيل، فقال: (قد مضى في الاستعارة، أنّ حدّها أنْ يكونَ للّفظ اللّغويّ أصلٌ، ثمّ يُنقل عن ذلك الأصل على الشّرط المتقدّم. وهذا الحدّ لا يجيء في الّذي تقدّم من معنى التّمثيل، من أنّه الأصل في كونه مثلًا وتمثيلًا، وهو التّشبيه المنتزع من مجموع أمورٍ، والّذي لا يُحصّله لك إلا جملةٌ من الكلام أو

---

(٣٤) **أسرار البلاغة**، ١٠٢، ١١٠.

(٣٥) انظر السّابق، ٢٢٢، ٢٣٩، فما بعد.

(٣٦) **أسرار البلاغة**، ١٠٢.

(٣٧) انظر السّابق، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١١.

أكثر، لأنّك قد تجد الألفاظ في الجمل التي يُعقد منها جاريةً على أصولها وحقائقها في اللغة)[٣٨]. فالاستعارة شأنها شأن التّشبيه قد تكون تمثيلًا، وقد تكون غير تمثيلٍ، وكونها تمثيلًا لا بدّ فيها أن تتحقّق لها شروط التّمثيل أو شروط التّشبيه التّمثيليّ عمومًا. وقد أوجزها عبدالقاهر بأنّ الدّلالة فيها يجب أن تكون منتزعةً من متعدّدٍ، وذلك بأن تكون مبنيّةً على جملةٍ من الكلام أو أكثرَ، وأن تكون الألفاظ في معظمها جاريةً على أصلها. أمّا إذا خرج اللّفظ على أصل وضعه في اللّغة وجبتِ الِاستعارة، وامتنع التمثيل، ومقصديّة المتكلّم لها القول الفصل في تحديد النّاتج الدّلاليّ، إن كان المرادُ الدّلالةَ المفردةَ أوِ الدّلالةَ المركبةَ، أيْ: الاستعارة أو التّمثيل، وهذا يظهر من قوله: (وإذا لم تُمكن نسبة الشّبهِ إلى الشّيء على الانفراد، وكان مركّبا منْ حاله معَ غيره، فليس الِاسم بمستعارٍ، ولكن مجموع الكلام مثلٌ)[٣٩]. والشّاهد المتداول في هذا السّياق لدى البلاغيّينَ المثل المعروف (بلغني أنّك تُقدّم رجلًا وتؤخّر أخرى، فإذا أتاكَ كتابي هذا فاعتمدْ على أيّهما شِئتَ والسّلام)[٤٠]. فمقصد المتكلّم يتّجه إلى دلالة التردّد بين الأمرين، وترجيح الرأي فيهما، ولا يتصوّر التردّد والترجيح في الشّيء الواحد (فلو جَهَدت وهمَك أن تتصوّر لقولك: (تقدّم رجلًا) معنىً وفائدةً ما لمْ تقلْ: (وتؤخّر أخرى) أو تنوِه في قلبك، كلّفتَ نفسك شططًا)[٤١]. و(المَثَل) و(التّمثيلُ) و(المُمَاثلة) كلّها ألفاظٌ لها الدّلالة نفسها عند عبد القاهر، فهذا النّحو من الكلام يمكن تسميته بأيٍّ من الألفاظ السابقة[٤٢]، لأنّ

---

(٣٨) **أسرار البلاغة**، ٢٣٨.

(٣٩) السّابق، ٢٦٠.

(٤٠) خبر هذه المقالة في **البيان والتبيين**،ج١، ٣٠٢، ٣٠١.

(٤١) **أسرار البلاغة**، ١١٢.

(٤٢) السّابق، ١١٣.

الدّلالة اللّغوية واحدةٌ فيها، والعلاقة بين المثل بمعناه الاصطلاحي المعروف والتّمثيل، هي علاقة عمومٍ وخصوصٍ، فكلّ مثلٍ تمثيلٌ، وليس كلّ تمثيلٍ مثلًا، فالتّمثيل يكون تشبيهًا تمثيليًّا، ويكون استعارةً تمثيليّةً، أمّا المثل فلا يكون إلّا استعارةً تمثيليّةً. فالجرجانيّ يستخدم أحد المصطلحين في موضع الآخر، فيقول: (واعلم أنّ (المثل) قد يُضرب بجملٍ لا بدّ فيها من أن يتقدّمها مذكورٌ يكون مشبّهًا به، ولا يمكن حذف المشبّه به والاقتصار على ذكر المشبّه)[٤٣]. ومعلومٌ أنّ هذا الضرب من الكلام الذي يُذكر فيه الطرفان هو من قبيل التّشبيه التمثيليّ، فبان أنّ قصده به (التّمثيل). وممّا طريقه طريق المثل أو التّمثيل إلّا أنّه قد يخفى، فيشتبه بالاستعارة، لاعتباراتٍ دينيّةٍ، قد تجعل القارئ يُسرع إلى استنتاج دلالةٍ تخرجه من الحرج الدّينيّ الّذي قد تسبّبه، الآياتُ التي فيها تشبيهٌ لله عزّ وجلّ بالمخلوقينَ من البشر، نحو تلك التي ذكرت فيها اليد واليمين والقبضة، وهنا يقول عبدالقاهر: (فأمّا ما تكون (اليد) فيه للقدرة على سبيل التّلويح بالمثل دون التصريح، حتّى ترى كثيرًا من النّاس يطلق القول: إنّها بمعنى القدرة، ويجريها مجرى اللّفظ يقع لمعنيينِ، كقوله تعالى: ((والسمواتُ مَطويّاتٌ بيمينهِ)) –الزمر ٦٧– وإذا تأمّلت علمت أنّه على طريق المثل. كذلك في قوله عزّ وجلّ ((والأرضُ جميعًا قبضتُه)) –الزمر ٦٧– وهذا منهم تفسير على الجملة، وقصد إلى نفي الجارحة بسرعةٍ، خوفًا على السّامع من خطراتٍ تقع للجهّال وأهل التّشبيه، جلّ الله وتعالى عن شبه المخلوقينَ، ولم يقصدوا إلى بيان الطريقة والجهة التي منها يُحصل على القدرة والقوة. وإذا تأمّلت علمت أنّه على طريقة المثل.. .. .. فمعنى (القبضة) –والله أعلم– أنّ مَثَلَ الأرضِ في تصرّفها تحتَ أمر الله وقدرته، وأنّه لا يشذّ شيءٌ ممّا فيها عن سلطانه عزّ وجلّ مَثَلُ الشّيءِ يكون في قبضة الآخذ له مِنّا والجامع يده

---

[٤٣] أسرار البلاغة، ١١٣.

عليه)[٤٤]. وقد تفرّد عبدالقاهر في دراسته للتّشبيه والتّمثيل بملاحظةٍ تبدو على درجةٍ كبيرةٍ من الأهميَّة، وهي طريقةُ العكسِ، لا تستقيم في التّمثيل على حدّها في التّشبيه، لأنّه ليس المرادُ إثباتَ أنّ أحد الطرفين هو الآخر، على حدّ قول الشّاعر

وَبَدَا الصَّباحُ كأنّ غُرّتَهُ وَجْهُ الخليفةِ حِينَ يُمْتَدَحُ[٤٥]

إنّما القصد من التّشبيه حينئذٍ ما تقدّم من الأحكام المتأوّلة من طريق المقتضى، على حدّ قوله:

وكأنّ النّجومَ بينَ دُجَاهَا سُنَنٌ لَاحَ بَينَهُنَّ اِبْتِـــدَاعُ[٤٦]

فالأوّل مبنيٌّ على المبالغة، والثّاني مبنيٌّ على التّخييل، لذا يقول عبدالقاهر: (وإذا كان الأمر كذلك، علمتَ أنّ طريقةَ العكس لا تجيءُ في التّمثيل على حدّها في التّشبيه الصّريح، وأنّها إذا سُلِكَتْ فيه كان مبنيًّا على ضربٍ من التّأوّل والتّخيّل يخرج عن الظاهر خروجًا ظاهرًا، ويبعُد عنه بُعْدًا شديدًا)[٤٧]. وما يؤخذ على الجرجانيّ في دراسته السّابقة أنّه لم يعرّف مصطلح التّمثيل والتّشبيه التّمثيليّ على نحوٍ جامعٍ مانعٍ، فَغَدَتْ مرتعًا خصبًا للعلماء من بعده، يجتهدون في فهمها وتفسير المراد منها، وقلّما أضافوا شيئا جديدًا، سوى أنّهم وسّعوا ميدان المصطلح، إلى حدٍّ جعله يكاد يقترب أحيانًا من مصطلح التّشبيه، وذلك يعود إلى

---

(٤٤) السّابق، ٣٥٨، ٣٥٩.

(٤٥) البيت لمحمّد بن وهيب، يقوله في المأمون، **نقلًا عن محقّق أسرار البلاغة**، ٢٢٣.

(٤٦) من أبياتٍ للقاضي التّنوخي في يتيمة الدهر، ج٢، ٣١٠، **نقلًا عن محقّق أسرار البلاغة**، ٢٢٥.

(٤٧) **أسرار البلاغة**، ٢٢٦.

غموض عبارة الجرجانيّ حينًا، وإلى أنّه كان في دراسته للتّمثيل ينطلق من مقدّماتٍ عامّةٍ، قد تُفهم الأمثلة الواردة فيها على غير وجهها، فيتوّهم أنّها من التّمثيل، ومقصود ذلك العالم الفذّ ضرب أمثلةٍ على تلك المقدّمات، كما في درسه للتشبيه الّذي يحتاج إلى تأويل، والّذي لا يحتاج إلى تأويل، والتّشبيه العقليّ المنتزع من شيءٍ واحدٍ، وغيره(٤٨)، لا أنّ هذه الأمثلة هي من قبيل التّمثيل. وهو ما سأبيّنه فيما بعد. وممّن اتّهم بأنّه لا يفرّق بين مصطلحي (التّشبيه) و(التّمثيل) العالم الجليل الزّمخشريّ (٥٣٨هـ) فقد ذكر الحسن بن عثمان المفتي (١٠٩٥هـ) أنّ صاحب الكشّاف يجعل (التّمثيل مرادفًا للتّشبيه)(٤٩)، وإلى ذلك ذهب كلٌّ من الدّسوقيّ (١٢٣٠هـ) والبنانيّ (القرن الثالث الهجري)(٥٠)، ومن المعاصرين محقّقا الكشّاف(٥١)، ود. أحمد هنداوي هلال(٥٢)، ورأى آخرونَ رأيًا مختلفًا كالإنبابيّ (١٣١٣هـ) الّذي نقل عنِ القطب الشّيرازيّ (٧١٠هـ) والسّعد التّفتازاني (٧٩٣هـ) في حواشيهما على الكشّاف، أنّ مراده بالتّمثيل الِاستعارة التّمثيليّة(٥٣). والتّحقيق في

---

(٤٨) انظر السّابق، ٩٣ ,١٠١.

(٤٩) **خلاصة المعاني** : الحسن بن عثمان المفتي ،٣٥٥ .

(٥٠) انظر **حاشية الدّسوقي على مختصر السّعد على تلخيص المفتاح للقزوينيّ:** محمّد بن عرفة الدّسوقي، ضمن شروح التلخيص، ج٣، ٤٣٢. وانظر تجريد العلّامة البناني على مختصر العلّامة السّعد على تلخيص المفتاح للإمام الخطيب القزوينيّ : مصطفى بن محمّد البنانيّ، ج٢ ، ١٨٤.

(٥١) **انظر الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل:** محمود بن عمر جار الله الزّمخشريّ، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي معوّض، ج١، ١٢٠.

(٥٢) انظر **المباحث البيانيّة في تفسير الفخر الرّازي: دراسة بلاغيّة تفصيليّة**، د. أحمد هنداوي هلال، وقد ذهب إلى أنّ كلًّا من الزّمخشريّ والقاضي عبد الجبار وابن قتيبة والرّازي لا يفرّقون بين التّشبيه والتّمثيل، ١٠٨ .

(٥٣) انظر **حاشية الشيخ الإنباني على رسالة الصّبّان:** محمّد الإنبابي، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٧٥.

ذلك هو ما ذكره السّعد ومن معه على العموم، لأنّ بعض المواضع قد تُشكل، لاسيّما استخدامه المصطلحين معًا، وهو في موضعٍ واحدٍ نبّه عليه د. محمد أبو موسى، وبنى عليه حكمه في أنّ الزّمخشريّ لا يفرّق بين المصطلحين، وقال: هذا دليل لا يتطرّق إليه الاحتمال(٥٤)، وذلك في قوله تعالى: (إنّ أنكرَ الأصواتِ لصوتُ الحَميرِ)– لقمان ١٩– فيقول الزّمخشريّ: (فتشبيه الرّافعينَ أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنّهاق، ثمّ إخلاء الكلام من لفظ التّشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة، وأنْ جُعِلُوا حميرًا وصوتهم نُهَاقًا، مبالغةٌ شديدةٌ في الذمّ والتّهجين، وإفراطٌ في التّثبيط عن رفعِ الصوت)(٥٥). وأعتقد أنّ هذا الشّاهد قد يتطرّق إليه الاحتمال – والله أعلم– لأنّ الزّمخشريّ ذكر بعد هذا الكلام ما يدلّ على ذلك، فقال: (والحمار مَثَلٌ في الذّمّ البليغ والشتيمة، وكذلك نُهَاقُه)(٥٦). ولا يمكنُ أنْ يكونَ مقصدُه من (المَثَلِ) التّشبيهَ، لأنّه يكون حينئذٍ وقع في التّكرار، ولعلّ مراده – والله أعلم – وهو المعروف بتقليبه العبارة على أكثرَ من وجه – أنّ الآية تحتمل أن تكون من باب التّشبيه، أي (المشابهة) في الطرفين على أنّها استعارةٌ مفردةٌ، إذا نظرنا إلى أجزائها منفردةً، وتحتمل أن تكون من باب المثل أو التّمثيل إذا نظرنا إليها بمجموعها. ويجري هذا المجرى في تفتيقه الأوجه المتعدّدة للتّركيب الواحد، وتأويله بطرقٍ مختلفةٍ، ما قاله عند قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذابٌ عظيمٌ) –البقرة ٧– (قلتُ: لا ختمَ ولا تغطية ثَمَّ على الحقيقة، وإنّما هو من باب المجاز، ويُحتمل أن يكون من كلا نوعيه، وهما

---

(٥٤) انظر **البلاغة القرآنيّة في تفسير الزّمخشريّ وأثرها في الدّراسات البلاغيّة**: محمّد أبو موسى، ٤٠٢، ٤٠٣.

(٥٥) **الكشّاف**، ج٥، ١٨.

(٥٦) السّابق نفسه.

الاستعارة والتمثيل، أمّا الاستعارة فأن تُجعل قلوبهم, لأنّ الحقّ لا ينفذ إليها، ولا يخلص إلى ضمائرها من قِبَل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعُهم لأنّها تمجّه وتنبو عن الإصغاء إليه، وتعافُ استماعه كأنّها مستوثقٌ منها بالختم، وأبصارهم لأنّها لا تجتلي آيات الله المعروضة، ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين، كأنّما غُطّي عليها وحجبت، وحِيل بينها وبين الإدراك. وأمّا التّمثيل، فأنْ تمثّل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلّفوها وخُلقوا من أجلها بأشياءَ ضُرب حجابٌ بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية. ويجوز أن تضرب الجملة كما هي، وهي ختم الله على قلوبهم مثلًا، كقولهم: سالَ به الوادي، إذا هلك، وطارتْ به العنقاءُ، إذا أطالَ الغيبة، وليس للوادي ولا للعنقاء عملٌ في هلاكه ولا في طول غيبته؛ وإنّما هو تمثيل مثّلت حاله في هلاكه بحال مَنْ سال به الوادي؛ وفي طول غيبته بحال مَنْ طارت به العنقاء؛ فكذلك مُثّلَت حال قلوبهم فيما كانت عليه مِنَ التّجافي عن الحقّ بحال قلوبٍ ختم الله عليها)(٥٧). فهذه ثلاث حالاتٍ استنبطها من هذه الآية، في كلّ حالةٍ تأويلٌ مختلفٌ عن الأخرى، لأنّ المنظور مختلفٌ، فإذا ما نظرنا إلى كلّ عنصرٍ على حدةٍ، فالنّاتج سيكون استعارةً مفردةً، وإذا ما نظرنا إلى العناصر مجتمعةً، فالنّاتج سيكون تمثيلًا، وإذا ما نظرنا إلى الآية كلّها، فالنّاتج سيكون مثلًا. لكن ربّما يتوهّم أنّ هذه الطريقة تستقيم في كلّ عبارة، وذلك لا يكون، لأنّ التّأويل لا بدّ أن يراعي مقتضيات السّياق ومقصديّة المتكلّم، وإلّا كان شططًا. وحقيقة التّمثيل لم يكشف عنها الزّمخشريّ إلّا من الجانب اللّغويّ، أمّا من جهة الاصطلاح فلا نجد ما يدلّ عليه صراحةً عنده، والظّاهر من الأمثلة الّتي ذكرها أنّ التّمثيل ضربٌ من المجاز،

---

(٥٧) **الكشّاف**، ج١، ١٦٥، ١٦٧.

يضمّ الاستعارة التّمثيليّة والتّشبيه التمثيليّ والمثل والاستعارة التّمثيليّة التّخييليّة، من دون التّشبيه الصّريح والمتعدّد والاستعارة المفردة، وهذا يؤخذ على العموم, لأنّه في بعض المواضع تكون عبارةُ الزّمخشريّ مُلبسةً، ومصطلحاته متداخلةً على نحوٍ يصعب فيه تحديد مراده، فضلًا عن عقيدته الدّينيّة الاعتزاليّة الّتي جعلته ينحو منحىً خاصًّا في تفسير بعض الآيات القرآنية التي فيها تمثيلٌ أو ضرب مثلٍ, فالمعروف أنّ المعتزلة يؤوّلون الآيات التي فيها تشبيهٌ لله عزّ وجلّ بالمخلوقينَ من عباده، من نحو اليد والقبضة والكلام والرّؤيا إلى غير ذلك من الصّفات، وذلك عن طريق الانتقال من الّلفظ إلى لازمه، كذلك ما يتّصل بمقاولة غير العقلاء، أمّا الزمخشري فجاء بفكرةٍ جديدةٍ، لعلّها تكون أقرب إلى عقائد أهل السّنّة ممّن لا يأخذون بالتّأويل منها إلى المعتزلة، هي أنّه زيادةً على إقراره بهذا النوع من مجاز التّمثيل الذي ميدانه المحقّقات –كما يصرّح– فإنّه يرى أنّ بناء التّمثيل على المحال يكون من قبيل التّخييل(٥٨) الّذي هو ضربٌ من التّمثيل، لا بطريق المجاز، وبغرض التّصوير. من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: (ثُمَّ اِسْتَوَى إلى السّماء وهيَ دُخانٌ فقالَ لهَا وللأرضِ اِئْتِيَا طوعًا أوْ كرهًا قالتَا أَتَينَا طَائِعِينَ) –السجدة ١١– فقال: (ومعنى أمر السّماء والأرض بالإتيان وامتثالهما: أراد تكوينهما فلمْ يمتنعَا عليه، ووُجدتا كما أرادَهُمَا، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع، إذا ورد عليه فعلُ الأمر المُطَاع، وهو من المجاز الذي يسمّى التّمثيل. ويجوز أن يكون تخييلًا، ويبنى الأمر فيه على أنّ الله تعالى كلّم السماء والأرض وقال لهما: اِئْتيَا شِئْتُما ذلك أو أَبَيتُمَاه، فقالتا: أتينا على الطّوع لا على الكره. والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير، من غير أن يحقّق شيئًا من الخطاب والجواب)(٥٩). فهو لمّا

(٥٨) انظر **الكشّاف**، ج٥، ٣٢٠، ١٠٣.

(٥٩) السّابق، ج٥، ٣٧١.

عطف (التخييل) على (مجاز التمثيل) عُلم أنّه غيرُه، وإذا كان مجاز التّمثيل عند الجرجانيّ يخيّل الدّلالة بطريق المجاز، فإنّ التّمثيل التّخييليّ عند الزّمخشريّ يخيّلها، إذا كانت مبنيةً على المُحال، فلا ينظر فيها إلى جهةٍ حقيقةٍ أوجهة مجازٍ، أيْ: يؤخذ كما هو، ويُترك للمتلقي تخيّله. وهذا من أبدع ما قيل في هذا السّياق، وأبعده عن التكلّف. فالتّخييل عند الزّمخشريّ تمثيلٌ خاصٌّ، لأنّه تمثيلٌ بالمحال. ومن جاء بعد هذين العالمين، أعني الجرجانيّ والزّمخشريّ، لم يزد شيئًا يُعتدّ به في دلالة المصطلح، إلّا تخصيصًا لها، أو تعميمًا، فمن دلالة التّخصيص ما ذهب إليه السّكاكيّ(٦٢٦هـ) من أنّ (التّشبيه متى كان وجهه وصفًا غير حقيقيٍّ، وكان منتزعًا من عدّة أمورٍ، خُصّ باسم التّمثيل)[٦٠]. والمراد بالوصف غير الحقيقيّ أن يكون وهميًّا، والوهميّ أخصّ من العقليّ، لأنّه لا وجود لهيئته ولا لجميع مادّتِهِ إلاّ في الوهم، وهذا أنسب لدلالة التّخييل، لأنّ الشّيء كلّما كان أبعد في الوهم كان أبعد في التخيّل. وذلك يجعل ميدان المصطلح محدودًا، والأمثلة التي مثّل لها السّكاكيّ في الوهميّ، هي نفسها التي مثّل لها الجرجانيّ في العقليّ. ويضاف إلى ذلك، أنّ ما هو وصفٌ غير حقيقيٍّ يلتبس في كثيرٍ من المواضع بالعقليّ الحقيقيّ – حسب السّكاكيّ نفسه[٦١] – فهذا يُظهر صعوبةَ صنيعه، وبُعْدَ شَأوِ طريقتهِ. ويبقى القزويني (٧٣٩هـ) ومعظم من جاء بعده مِنَ شرّاح التّلخيص من أبرز الذين أكّدوا دلالة التعميم، وذلك بإدخال التّشبيه المركّب في التّشبيه التّمثيليّ[٦٢]. وهو عند التّحقيق لا يدخل فيه إلاّ إنْ كان وجه الشبه فيه عقليًا. أو بإدخال التّشبيه الصّريح فيه، كما صرّح التّفتازاني (٧٩٣هـ) بأنّ تشبيهَ الثّريّا بالعنقود المنوّر تمثيلٌ عند

---

(٦٠) **مفتاح العلوم:** يوسف بن محمّد بن علي السّكاكيّ ،٤٥٥.

(٦١) انظر السّابق، ٤٥٨.

(٦٢) انظر **الإيضاح في علوم البلاغة:** محمّد بن سعد الدّين الخطيب القزوينيّ،٢٤٩,٢٥٣.

الجمهور، وليس بتمثيلٍ عند السّكاكيّ، وهذا وهمٌ منه، مثلما ذكر المحقّق السّيّد الشّريف (٨١٦هـ)، لأنّه فهم عبارة القزوينيّ على غير وجهها في أنّ وجه الشبه منتزعٌ من متعدّدٍ، أنّ المقصود بالانتزاع هنا كونه مركّبًا من متعدّدٍ هو أجزاؤه، لا أنّه منتزعٌ من متعدّدٍ في طرفي التّشبيه[٦٣]. وتابعه في ذلك كلٌّ مِنَ المغربيّ (١١١٠هـ) والدّسوقيّ (١٢٣٠هـ)[٦٤].

وقد انسرب هذا الفهم، أو بعضُه إلى المحدثينَ من البلاغيّينَ، فتابعوا القزوينيّ[٦٥]، أو تابعوا التّفتازاني ومن شاكله من الشرّاح[٦٦]. وزعم بعضهم الآخر أنّ المفرد العقلي يدخل في مفهوم التّمثيل عند الجرجانيّ[٦٧]، وقد بيّنت أسباب هذا الوهم في دراستي للمصطلح عنده[٦٨]. ومن النّادر أن تجد واحدًا منهم توقّف عند

---

(٦٣) انظر **كتاب المطوّل:** سعد الدين مسعود بن عمر التّفتازاني الهرويّ، ٣٣٩.

وانظر حاشية السّيد الشّريف على كتاب المطوّل: علي بن محمد السّيد الحسينيّ، ٣٣٨.

(٦٤) انظر **مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح:** لابن يعقوب المغربيّ، ج٣، ٤٣٢. وانظر حاشية الدّسوقيّ على شرح السّعد: الدّسوقيّ، ج٣، ٤٣٢، دار الإرشاد الإسلاميّ، بيروت (ضمن شروح التلخيص).

(٦٥) انظر **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع** : السّيد أحمد الهاشميّ، ٢٢٧. وأسرار البيان: علي محمد العماري، ٨٦. وعلم المعاني والبيان والبديع: د. عبد العزيز عتيق، ٢٨٠.

(٦٦) انظر **أساليب البيان في القرآن:** سيّد جعفر الحسيني، ٣٣٠ .

(٦٧) انظر في ذلك: عبد القاهر الجرجانيّ، **بلاغته ونقده،** ١٣٢، **ومعجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها،** ٣٣٣ : د. أحمد مطلوب . والقرآن والصورة البيانية: د. عبد القادر حسين، ٤٠ .

(٦٨) انظر الصفحة رقم (١٢) من هذا البحث.

ما جاء به القدماء بالنّقد والتّحليل[٦٩]، أو باتّباع طريقتهم في الإجراء والتّطبيق. ولعلّ ذلك يعود إلى صعوبة طريقتهم-لاسيّما الجرجانيّ و الزّمخشريّ- الّتي لابدّ لإتقانها من موهبةٍ، ودرايةٍ بعلومٍ متعدّدةٍ.

ثالثًا- محدّداتُ التّشبيه التّمثيليّ وتعريفه:

وربّما يكون من المفيد بعد هذا العرض للمصطلح وتطوره، تبيين أهمّ المحدّدات التي يمكن على أساسها تحديد مصطلح (التّشبيه التّمثيليّ) تحديدًا يجعله لا يتداخل مع غيره من المصطلحات، ووصولًا إلى تعريفٍ له، يأخذ بالحسبان فهمه النّظريّ والتّطبيقيّ، ودلالته اللّغوية، لاسيّما في مرحلة نضجه واكتماله. ويمكن إيجاز هذه المحدّدات في ثلاثة: أوّلها المحدّد الدّلاليّ: فالدّلالة فيه يجب أن تكون عقليّةً، لا بغرض المبالغة في الوصف، بل التّخييل. وثانيها المحدّد التّركيبيّ: فيجب أن يكون مركّبا في طرفيه من عنصرين أو أكثر، وأن يكون المشبّه به مبنيّا على جملة أو أكثر فيه. وثالثها المحدّد السّياقيّ: الّذي يأخذ بالحسبان أطراف الاتّصال الثّلاثة: المتكلِّم والنّص والمتلقي: المتكلِّم من حيث مقصديته، والنّص من جهة علاقاته وارتباطاته، والمتلقي من جانب قدرته على الوصول إلى النّاتج الدّلاليّ الّذي قد يختلف من ناقدٍ إلى آخر، بحسب الثّقافة والمعتقد. وهذا المحدّد لا يخصّ التّشبيه التّمثيليّ وحده، لكن حضوره أكثر فيه، وفيما يتعلّق به من أنواعٍ، من نحو: المَثَل، والاستعارة التّمثيليّة، والتّمثيل عمومًا، لأنّه لابدّ فيه من تخّيل الدّلالة التي أنتجها المبدع، واستحضارها بكلّ ما فيها من أفكارٍ ومواقف ومشاعر

(٦٩) انظر **البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد**، علم البيان: د. بكري الشيخ أمين، وقد ذهب إلى أنّ لنا أن نُحلّ كلمة (مركبٍ) مَحلّ كلمة (متعدّدٍ) في تعريف التّشبيه التّمثيليّ، لأنّ المركب جزءٌ واحدٌ لا يتجزّأ، بينما المتعدّد يمكن تجزئته وتفصيله، ٣٨ .

وأحاسيس، وعوالم مرئيّةٍ وغير مرئيّةٍ، ومحقّقةٍ وغير محقّقةٍ، ثمّ ربطها بالسّياق الّذي ترد فيه، للوصول إلى الغرض. أمّا التّعريف المقترح لمصطلح (التّشبيه التّمثيليّ) فهو: (أنّه تشبيهٌ عقليٌّ تخييليٌّ مركّبٌ من عدّة أمورٍ في طرفيه، ومبنيٌّ في طرفه الثّاني على جملةٍ أو أكثرَ). فهذا التّعريف يُخرج منه التّشبيه الصّريح بأنواعه كلّها، أيْ: المفرد الحسيّ، والمفرد العقليّ، والمركّب الحسيّ الّذي منه بيت بشار المشهور الّذي توهّم بعض البلاغيّين أنّه من التّمثيل، وليس منه:

كأنّ مُثارَ النّقعِ فوقَ رُؤُوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كوَاكِبُه(٧٠)

فالتّشبيه موضوع على أن يريك الهيئة التي ترى عليها النّقع المظلم، والسيوف في أثنائه تبرُق وتُومِض وتعلو وتنخفض، وترى لها حركاتٍ من جهاتٍ مختلفةٍ كما يوجبه الحال حين يحمى الجِلاد. ولا جرم أنّ المقصود تشبيه النّقع والسّيوف فيه، باللّيل المتهاوي كواكبه، لا تشبيه اللّيل بالنّقع من جانب، والسّيوف بالكواكب من جانب، ويتأكّد هذا الحكم من تركيب الجملة، فالواو بمعنى (مع)، ولو قصد تشبيه كلّ عنصرٍ بما يقابله على الانفراد، لقال: (ليلٌ وكواكب)، ومع ذلك فالبيت ليس من قبيل التّمثيل، لأنّ الدّلالة فيه حسيّةٌ. والمتعدّد الذي هو عكس المركّب، لأنّ المراد فيه تشبيه كلّ عنصرٍ على حدةٍ بما يقابله، والشّاهد المتداول هنا قول امرئ القيس:

كأنّ قلوبَ الطيرِ رطبًا ويابسًا لدى وكرها العنّابُ والحشَفُ البَالِي(٧١)

(٧٠) هو في ديوانه، انظر **الأسرار**، ١٧٤ و١٩٤ و١٩٨.

(٧١) هو في ديوانه، انظر **الأسرار**، ١٩٢.

فهو لم يقصد إلى أن يجعل بين الشّيئين اتّصالًا، وإنّما أراد اجتماعًا في مكانٍ فقط، والدّليل أنّك لو عدّلت التّركيب، فقلت: (كأنّ الرّطب من القلوب عُنّابٌ، وكأنّ اليابسَ حشفٌ بالٍ) فإنّك تجد الفائدة نفسها، وليس كذلك الحكم في المركّبات.

أمّا الاستعارة التّمثيليّة، والمَثَل، والاستعارة التمثيليّة التّخييليّة -وهذه الأنواع كلّها تمثيلٌ- فلابدّ أن يتحقّق فيها ما يتحقّق في التّشبيه التّمثيليّ، ماعدا وجود الطرفين معًا، أعني: المشبّه والمشبّه به .

بقي أن أشير إلى مسألةٍ مهمّةٍ، لعلّها تخفّف من كثرة المصطلحات التي عُني بها بعض البلاغيّينَ أنّ ما اصطُلح على تسميته بالتّشبيه الضّمنيّ[٧٢] عندهم إنّما هو ضربٌ من التّمثيل أو التّشبيه التّمثيليّ عند الجرجانيّ والسّكاكيّ وغيرهما، حذف منه الأداة، وصيغ بطريق التّلميح دون التّصريح, وبأسلوب المنطق الذي يحاول تثبيت الفكرة المرادة في الذّهن، وذلك بإسنادها إلى صورة حسيّة توضحها وتجلي غامضها. وما كان من هذا الجنس قول ابن المعتز:

اِصْبِرْ على مَضَضِ الحَـُـسو دِ فإنَّ صبرَكَ قاتلُهْ

فالنّار تأكلُ نفسَهـــــــــــا إنْ لم تجدْ ما تأكلُهْ[٧٣]

وذلك لأنّ (تشبيهَ الحسودِ إذا صُبر عليه وسُكت عنه، وتُرك غيظه يتردّد فيه بالنّار الّتي لا تُمدّ بالحطب حتّى يأكل بعضُها بعضًا، ممّا حاجته إلى التّأوّل ظاهرةٌ بيّنةٌ)[٧٤].

---

٧٢ انظر **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ٢٣٩.

٧٣ **ديوان ابن المعتز**، نقلا عن محقق أسرار البلاغة، ٩٦.

٧٤ **أسرار البلاغة**، ٩٧. وانظر مفتاح العلوم، ٣٤٦.

الخاتمة

ممّا سبق يمكن إيجاز النّتائج الآتية:

١- دلالةُ (المشابهة) في مصطلحات(تشبيهٍ) و(تمثيلٍ) و(مثلٍ) وما شاكلها هي أحد أسباب استعمال أحدها في مكانِ الآخر عند اللّغويّينَ وبعض البلاغيينَ.

٢- أمّا السّبب الثّاني، فيتعلّق بوضع المصطلح، وما تبعه من اضطراب لدى البلاغيين المتقدّمين، ثمّ مرحلة الاستقرار لدى الجرجانيّ، الّذي عدّ التّمثيل تصويرًا خاصًا طريقُه التّخييل.

٣- ربطُ مصطلح (تمثيلٍ) بدلالاتٍ جديدةٍ من نحو: (تصوير) و(تخييل) كان السّبيل لتمييزه من (التّشبيه) وغيره من المصطلحات نحو: (الاستعارة المفردة) عند الجرجانيّ وبعض البلاغيينَ.

٤- اجتهادُ بعض البلاغيينَ في فهم عبارةِ الجرجاني على غير وجهها، أو بقصد التّسهيل على المتعلّمين السّببُ الأساسيّ في تداخل (التّمثيل) مع غيرهِ في الدّرس البلاغي.

٥- انتهى البحث إلى وضع محدّداتٍ للتّشبيه التّمثيلي وتعريفٍ له، ابتداءً من اللّغة، ومن مقولات البلاغيين، وطرقهم في فهم العبارة، وتقليبها في وجوهها المختلفة. ثمّ فرّق بينه و أنواع التّشبيه والاستعارة التي يمكن أن تُلبِسَ على المتلقّي، و بيّن صلته الوثيقة بالتّشبيه الضّمنيّ الّذي هو ضربٌ منه.

ثبت المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **أساليب البيان في القرآن:** سيّد جعفر الحسينيّ، وزارة الثقافة، طهران .

٣- **أسرار البلاغة:** عبد القاهر الجرجانيّ، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، جدة،١٩٩١.

٤- **أسرار البيان:** علي محمد العمّاري، القاهرة، ١٩٦٦.

٥- **أنوار الرّبيع في أنواع البديع** : لابن معصوم، حقّقه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، العراق، ١٩٦٩.

٦- **الإيضاح في علوم البلاغة:** القزوينيّ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧- **البلاغة العربية في ثوبها الجديد،** علم البيان: د. بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢ .

٨- **البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشريّ:** محمّد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨.

٩- **البيان والتّبيين:** الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت.

١٠- **تجريد البناني على مختصر السعد على تلخيص المفتاح للقزويني:** البناني، مطبعة محمّد علي صبيح، مصر.

١١- **تهذيب اللّغة:** الأزهري، حقّقه وقدّم له: عبدالسلام هارون، راجعه: محمد علي النجار، القاهرة .

١٢- **جواهر البلاغة:** السّيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، دمشق ، ١٩٩٤ .

١٣- **حاشية الإنبابي على رسالة الصّبان:** محمّد الإنبابي، المطبعة الأميريّة، القاهرة.

١٤- **حاشية الدّسوقيّ على مختصر السّعد على تلخيص المفتاح للقزويني:** الدّسوقي، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت .

١٥- **حاشية السّيد الشّريف على كتاب المطوّل:** عليّ بن محمّد السّيد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة .

١٦- **خلاصة المعاني:** المفتي، تحقيق ودراسة: د. عبدالقادر حسين، دار الاعتصام، القاهرة .

١٧- **عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده** : د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت .

١٨- **علم المعاني والبيان والبديع:** د. عبدالعزيز عتيق، جامعة حلب .

١٩- **العمدة في صناعة الشعر ونقده:** لابن رشيق القيرواني, تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠.

٢٠- **فنّ التّشبيه:** علي الجندي، مكتبة النّهضة، مصر، ط١, ١٩٥٢.

٢١- **كتاب الصّناعتين، الكتابة والشعر:** العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت .

٢٢- **كتاب المطوّل في شرح تلخيص المفتاح** : سعد الدين مسعود التفتازاني، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة.

٢٣- **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** جار الله الزّمخشريّ، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل عبد الموجود وعلي معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٤- **الكلّيات،** معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية: لأبي البقاء الكفويّ، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.

٢٥- **لسان العرب:** لابن منظور، دار صادر، بيروت.

٢٦- **المباحث البيانيّة في تفسير الفخر الرازي:** د. أحمد هنداوي هلال ، مكتبة وهبة، القاهرة .

٢٧- **مجاز القرآن:** لأبي عبيدة، عارضه بأصول وعلّق عليه: د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٨- **معاني القرآن:** الفرّاء، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٥.

٢٩- **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها:** د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ، بيروت.

٣٠- **مفاتيح العلوم:** الخوارزمي، تحقيق: فان فلوتن، القاهرة.

٣١- **مفتاح العلوم: السّكاكيّ**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢- **المفردات في غريب القرآن:** الرّاغب الأصفهاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

٣٣- **مقاييس اللغة:** لابن فارس، راجعه وعلّق عليه: أنس الشامي، دار الحديث، القاهرة.

٣٤- **مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح:** ابن يعقوب المغربي, دار الإرشاد الإسلامي، بيروت.

٣٥- **نقد الشعر: قدامة بن جعفر**، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٣.

28-Mʿānī al- Quraān, al- Farrāa, tahqiq, Aḥmad Njātī wa Muḥmmad ʿlī al- Najjār(al-Qāherah,1955)

29-Muʿjam al Muṣṭalaḥāt al- Balāghīīah, wa Taṭwūruha, Dr, Aḥmad Maṭlūb,(Baīrūt: Maktabat, Lubnān)

30-Mfātīḥ al- ʿulūm, al-Khawārizmī, tahqīq, fān Flūtin,(al-Qāherah)

20-Fannu al- Tashbīh, ʿlī al-Jundī,(Meṣer: Maktabat al-Nhḍah1952)

21-Kitab al- ṣināʿātīn, al- kitābah wa al-shiʿr, tahqīq, ʿlī Muḥmmad al- Bajawī, Muḥmmad Abo al- Faḍl Ibrāhīm(Baīrūt: al-Maktabah al-ʿ ṣrīīah)

22-Kitab al- muṭwwal fī sharḥ talkhīṣ al- miftāḥ, Saʿd al- Dīn Masʿūd al-Taftāzānī,(al-Qāherah: al Maktabah al-Azharīīah li al-Turāth)

23- Al- Kashshāf ʿan haqāaiq ghawāmiḍ al- Tanzīl wa ʿuīūn al-Aqāwīl fī ūjūh al-Tawīl, Jaru al- Laah al-Zamakhsharī, tahqīq wa taʿlīq wa dirāsit, ʿādil ʿabd al- Maūjūd wa ʿlī Muʿūwaḍ(al-Riīāḍ: Maktabat, al- ʿubaīkān)

24-Al- Kullīīāt, Muʿjam fī al- Muṣṭalaḥāt wa al- furūq al-Lughawīīah, Abo al-baqāa al-kafawī, tahqīq, Dr, ʿdnān darwīsh wa Muḥmmad al- Maṣrī(Baīrūt: Mūassasat al- Risālah,1993)

25-Lisān al- ʿarab, Ibn Manẓūr,(Baīrūt: Dar-ṣādir)

26-Al-Mabāḥth al- Baīānīīah fī Tafsīr al-Fakhr al-Rāzī, Dr, Aḥmad Hīndāwī Hilāl,(al-Qāherah: Maktabat, Wahbah)

27-Majāz al- Quraān, Abo ʿubaīdah, ʿāraḍahu bauṣūl wa ʿallaqa ʿalīhi, Dr, Fūaād Sizkīn,(al-Qāherah: Maktabat al- khānjī)

11-Tahd īb al- Lughah, al- Azharī, tahqīq, ʿbd al- Salām Harūn, rājʿhu, Muḥammad ʿlī al-Njjār(al-Qāherah)

12-Jawāher al-balāghah, al- Saīīid Ahmad al-Hāshemī,(Demashq: Dar-alfeker1994)

13- Hashīat al- Inbabī ʿlā resālet al- ṣabbān, , Muḥammad al-Inbabī,(al-Qāherah: Maktabat al- Amīrīīah)

14-Hashīat al- Dusūqī ʿlā Mkhtaṣar al-saʿedʿlā Talkhīṣ al-Meftāḥ leal-Qazūinī, (Baīrūt:Dar-al Irshād al- Aslāmī)

15-Hashīat al Saīid al- Sharīf ʿlā Ketab al -Muṭ awwal, ʿlī Ben Muḥammad alSaī īd , (al-Qāherah: al- maktabah al- Azharīīah leTTurath)

16-Khulaṣat al- Mʿānī, al- Muftī, tahqīq wa deraset, Dr. ʿbd al-Qader Husaīn, (al-Qāherah: Dar-al Iʿtṣām)

17-ʿbd al-Qāhir al-Gurganī balāghatuhu wa naqduhu, Ahmad maṭlūb, (alKūait: ūakalet al- Maṭbūʿāt)

18-ʿlm al- mʿānī wa al-baīān wa al- badīʿ, Dr, ʿbd al- ʿazīz ʿatīq(ḥalab: al-Jāmeʿah)

19-Alʿumdah fī ṣenāʿt al- shʿr wa naqdeh, Ibn Rashīq al-Qaīraūanī, tahqīq, Dr, al-Nabaūī ʿbd al-ūaḥed Shʿlān(al-Qāherah:2000)

Al-Maṣāder wa al-Marājiʿ

1-AL-Quraān al-Karīm

2-Asālīb al-bayān fī al-Qurān, Saīīid Jaʿfar al-husaīnī, (Ṭahrān: ūizarāt al-Thaqāfah)

3-Asrar al-balāghah, ʿbd Al-Qāhir al-Gurganī, qraahu waʿllaqa alīhi, Maḥmūd Muḥammad Shaker, (Jūddah: Maṭpaʿat al-Madanī 1991)

4-Asrar al-baīan, Ali Mūhammad al-ʿmmāri, (alQāherah1966)

5-Anwar al-rrabiʿ fi ʿlm al-badīʿ, Ibn Maʿṣūm al-Madanī, ḥaqqaqahu wa tarjam lishuʿarāahi, Shākir hādi Shukir, (al-ʿirāk1996)

6-AlIīḍāḥ fīʿulūm al-balāghah, al-Qazūini, (Baīrūt:Dar -al Kutub alʿlmīiah)

7-Al-Balāghah al-ʿrabīiah fī thaūbeha al-jadīd, ʿlm al-Baīān, Dr, Bakri al-Shikh amīn, (Baīrūt: Dār al-ʿlm leal-malāīin1982)

8-Al-Balāghah al-Qraānīiah fī Tafsīr al- Zamakhsharī, Muḥammad Abū Mūsā, (al-Qāherah: Maktabat wahbah 1982)

9-Al-Baīan wa al-Tabīin, al-Jāḥez, tahqīq wa sharḥ, ʿbd al- Salām Harūn,(Baīrūt:Dar- alJīl)

10- Tajrīd al-Bananīʿlā Mkhtaṣar al-saʿed ʿlā Talkhīṣ al-Meftāḥ leal-Qazūinī, al-Banānī(meṣer: Maktabat, Muḥammad ʿlī ṣubiḥ)